رحلة الحج البرية

من أقطار غربي أفريقيا ووسطها إلى مكة المكرمة

أ . د . محمد محمود السرياني
قسم الجغرافيا - جامعة أم القرى

مقدمة :

الحج عنصر مهم من عناصر حركة الشعوب التي تكون في الغالب لأهداف غير اقتصادية، وبالرغم من ذلك فهناك المنافع التجارية، بالإضافة إلى التبادل الثقافي، والاختلاط الاجتماعي، والتكامل السياسي. وبجانب ذلك هناك أمور غير مرغوبة تحدث من خلال حركات الحج، لعل من أهمها انتشار الأمراض والأوبئة. وقد عرفت الشعوب المختلفة التحركات البشرية من أجل الحج من غابر الأزمنة وحتى وقتنا الراهن. وشهدت المدن المقدسة والأماكن ذات الطبيعة الدينية لمختلف الأديان تحركات بشرية وتنقلات واسعة لأصحاب هذه الديانات لزيارتها والارتحال إليها، وربما الاستقرار فيها انتظاراً للوفاة والدفن في ثراها.

والإسلام بهذا الخصوص ليس استثناء من القاعدة. فالحج هو الركن الخامس من أركان الإسلام، والمسلم مأمور بأداء هذه الشعيرة إذا توفرت له الاستطاعة. وقد شكل الحج عنصراً مهمًا من عناصر الحركة للشعوب الإسلامية من المغربي غرباً وحتى حدود الصين شرقاً. وقد زادت حركة الشعوب الإسلامية بقصد الحج خلال العقود الخمسة الأخيرة، نتيجة زيادة أعداد المسلمين من جهة، وتحسن وسائل النقل والمواصلات من جهة أخرى. وكذلك المشاريع الكبيرة التي نفذتها حكومة المملكة العربية السعودية في كل من مكة المكرمة والمدينة المنورة والمشاعر المقدسة ونحوها من الأماكن التي يقصدها الحجاج أو يمرون بها.

ساعد تقدم المواصلات الجوية والبحرية على سرعة الوصول إلى الديار المقدسة، الأمر الذي انخفضت معه أعداد القادمين بواسطة الرحلات البرية، مقارنة بالمواصلات الجوية. واقتصرت الرحلات البرية على المناطق القريبة والأقطار المجاورة، بالإضافة إلى رحلة برية فريدة تنطلق من أقطار غربي أفريقيا ووسطها إلى الديار المقدسة. وهذه الرحلة الفريدة هي رحلة الحج التقليدية منذ مئات السنين وما زالت حتى يومنا هذا (Birks , 1975 : 297 - 298.)

إن المنطقة التي يفد منها هؤلاء الحجاج تشمل منطقة السفانا في غربي أفريقيا ووسطها، وتمتد من السنغال غرباً وحتى السودان شرقاً، ومن الصحراء الكبرى شمالاً وحتى الغابة الاستوائية جنوباً. وقد أطلق الجغرافيون العرب بلاد السودان على نطاق السفانا المدارية في القارة الأفريقية بأسرها، والذي يشمل دول السنغال وموريتانيا ومالي وبوركينا فاسو والنيجر ونيجيريا وتشاد والسودان. وأطلقوا اسم السودان الغربي على المنطقة الواقعة بين المحيط الأطلسي وبحيرة تشاد، أما السودان الشرقي فيشمل المنطقة الممتدة بين بحيرة تشاد والبحر الأحمر شاملاً السودان والصومال والحبشة (السرياني، ١٤٠٤: ٥٢).

والمنطقة التي نحن بصدد دراستها هي السودان الغربي، وعلى وجه الخصوص أراضي الهوسا والفولاني والبرنو في نيجيريا والنيجر والأراضي المحيطة ببحيرة تشاد، وقد عرفت بعض اجزاء هذه المنطقة عند الجغرافيين والمؤرخين العرب باسم بلاد التكرور.

بالرغم من أن الرحالة والمؤرخين والجغرافيين العرب والمسلمين قد دونوا كثيراً من مسالك الحج ودروبه والطرق الموصلة إلى الديار المقدسة قديماً وحديثاً، إلا أن ما كتب عن دروب ومسالك الحج من أقطار غربي أفريقيا ووسطها قليل. وقد وقع تحت ناظري بعض البحوث والرسائل العلمية التي تعالج هذا الجانب أثناء بحثي عن الأصول الأولى للجاليات الأفريقية التي استوطنت مكة المكرمة قديماً وحديثاً. وإنني أضعها أمام الباحثين المهتمين بهذا الموضوع. وسأذكر خلاصات ومقتطفات عما كتبه هؤلاء عن المسالك والدروب التي سلكها ويسلكها الحجاج القادمون من غربي أفريقيا.

لعل من أجود ما كتب عن الحج ما ورد في دائرة المعارف الإسلامية بقلم برنارد لويس وآخرون (Encyclopaedia of Islam , 1977 : vol. 3 pp. 31 - 38) وهناك مقالة ظهرت في مجلة المراجعات الجغرافية Geographi- (Review ca) تحت عنوان : ملاحظات حول الحج إلى مكة بقلم Erech Essac انظر (Geographical Review ,July , 1973 vol. 63 pp. 405 - 409.) ولعل هذه المقالة اعتمدت على مقالة أخرى وردت في مجلة (Erdkunde) الألمانية بعنوان (الحج إلى مكة – بعض الملاحظات التاريخية والجغرافية) بقلم Russell King (انظر Erdkunde , vol. 26 , 1972 pp. 61 - 73).

إن الموضوعات الثلاثة السابقة تتحدث عن الحج بصورة عامة، من حيث عدد الحجاج وأماكن قدومهم، والخصائص الاجتماعية والاقتصادية لوفود الحجيج، مع إعطاء لمحة تاريخية عن حركة الحج في العصور السابقة، والتغيرات التي طرأت على حركة الحج في السنوات الأخيرة.

ولعل ما يعنينا في هذا الصدد هو المراجع التي تتحدث عن حركة الحج عبر أقطار السفانا الأفريقية من المحيط الأطلسي غرباً، حتى البحر الأحمر شرقاً، عبر نطاق أرضي يزيد طوله عن ٣٢٠٠ كم يمتد من السنغال وحتى السودان.

ظهر في السبعينيات من القرن العشرين عدد من الأبحاث تصف حركة الحج وممراته وطرقه من غربي أفريقيا. وأبرز هذه الأبحاث أطروحة للدكتوراه من جامعة لندن بعنوان " تأثير الحج على غربي أفريقيا : دراسة تاريخية خلال القرن التاسع عشر" (انظر : Al Nagar , 1968)، وكذلك دراسة أخرى بعنون " الحج في بلاد غريبة : مجتمعات الهوسا في "تشاد " (انظر Wirks , 1976) بالإضافة إلى رسالة ماجستير بعنوان " الجوانب الجغرافية في الحج : بالإشارة إلى شمالي نيجيريا " (انظر Medugbon , 1973) وأخيراً هناك أطروحة للدكتوراه بعنوان " جوانب من الحج البري من غربي أفريقيا إلى مكة بالإشارة إلى منطقة دارفور بجمهورية السودان " (انظر .. Birks , 1975) والباحث الأخير نشر بحثين آخرين حول هذا الموضوع : أحدهما بعنوان «الحج البري من أراضي السفانا إلى مكة المكرمة»، والثاني بعنوان "الحج إلى مكة من قبل البدو

الرعاة في غربي أفريقيا " (انظر .Birks , 1977) وقد ظهرت المقالة الأولى في كتاب " الشعوب المتحركة : دراسات في الهجرات الداخلية " (انظر Kosinski & Prothero , 1975)، أما الثانية فقد ظهرت في مجلة الدراسات الأفريقية الحديثة . (The Journal of Modern African Studies Vol. 15, 1977)

وفي عام ١٩٩٥ م ظهر كتاب جديد بعنوان " الحجاج المستقرون – دور الحج في حياة مسلمي غربي أفريقيا في السودان " (Yamba Bawa, 1995) يلقي فيه المؤلف الأضواء على أماكن استقرار مسلمي غربي أفريقيا في السودان ودور الحج في ذلك.

لقد استعرضت تلك الأبحاث فوجدت فيها ملاحظات قيمة حول الطرق التي يسلكها الحجاج من غربي أفريقيا إلى مكة. كما وجدت فيها وصفاً دقيقاً لمراحل السفر المختلفة، التي يقطعها هؤلاء الحجاج، في رحلة قد تكون من أطول رحلات الحج، ان لم تكن اطولها من حيث المسافة، ومن حيث الزمن، فأحببت أن ألقي الضوء على هذه المسالك البرية، واصفاً بصورة مختصرة أهم النتائج التي توصل إليها من ذكرتهم سابقا في صدر هذا البحث، تاركاً التفصيلات لمن يريد الاستزادة عن هذا الموضوع، وذلك عن طريق الرجوع إلى تلك المصادر، التي تحوي الكثير من التفصيلات المهمة عن رحلات الحج الأفريقي ومشكلاته، وآثاره على الاستيطان البشري في نطاق السفانا الافريقية، وفي مدينة مكة المكرمة والمدينة المنورة على حد سواء.

وقبل أن نبدأ الحديث عن تطور حركة الحج من هذه الديار لا بد لنا من لمحة موجزة عن انتشار الإسلام في هذه المناطق. إذ من خلالها نستطيع التعرف على أبرز الأماكن التي ترسل حجاجها إلى بيت الله الحرام.

انتشار الإسلام في قلب أفريقيا :

عندما طرق الإسلام قلب أفريقيا ووسطها بدأ ضوء المعرفة يزيل ظلمات الجهل، وأخذ الإسلام يضع قواعد حياة سليمة تليق بالبشر، وتأخذ بيدهم إلى الطريق القويم، ولهذا يقرر (Gouillg) أن العصر التاريخي لأفريقية السوداء لم يبدأ إلا منذ ظهور الإسلام، وأنه بالإسلام

ولغته وحضارته تقدم السود وتطوروا وبلغوا شأناً كبيراً في المدنية (شلبي، ١٩٨٣: ٩٩) .

دخل الإسلام مصر وشمال أفريقيا في العصور الإسلامية المبكرة ؛ أي في عهد عمر بن الخطاب وعهد الخلفاء من بعده. وعاماً بعد عام وقرناً بعد قرن انتشر الإسلام في هذه البقاع واستقر، وقامت حضارات إسلامية عالية الشأن، جعلت القاهرة والقيروان وفاس وقرطبه تنافس دمشق وبغداد. وكان طبيعياً ألاَّ تحول الصحراء الكبرى بين الحياة الجديدة بالشمال، ومناطق وسط وغربي القارة على الطرف الثاني من الصحراء الكبرى، فالعرب لهم صلة وثيقة بالصحراء والجفاف، فليس بدعاً أن اقتحموا الصحراء الكبرى عن طريق قوافل التجارة ووفود الرحالة وجماعات الدعاة، في سلاسل لم تتوقف، تروح وتجيء بين الشمال والجنوب عبر الصحراء. وقد ساعد على هذا الاتصال الوثيق هجرات عربية اتخذت طريقها من الشمال حتى وصلت قلب القارة. وقد أدت التجارة دوراً بارزاً في انتشار الإسلام في جنوب الصحراء، فقد كان في أفريقيا الكثير من المسالك التي تربط بين شمال الصحراء وجنوبها، أو بين غربي القارة ووسطها. وقد سار الرحالة العرب في هذه المسالك ووصفوها وصفاً دقيقاً، وبينوا المراكز التجارية التي تقع عليها. فإذا نظرنا على سبيل المثال في كتاب المسالك والممالك لأبي عبد الله البكري والخاص بأفريقيا والمغرب وجدنا تفاصيل دقيقة لهذه الطرق التجارية، وأهم ما يقع عليها من مدن وأسواق، وأهم مايعرض فيها من سلع. وكيف أن هذه المدن التجارية ساعدت على انتشار الإسلام، مما يدلل على صلة انتشار الإسلام بالتجارة. ولعل من أشهر هذه المدن مدينة تُمَبكتو (تقع على منحنى النيجر في دولة مالي الحالية ومدينة جنّي (جنوب غربي تُمَبكتو في دولة مالي أيضاً)، ومدينة ولاته (شمال غربي تُمَبكتو في دولة موريتانيا حالياً) وغيرها من مدن وسط وغربي أفريقيا. (شلبي، ١٩٨٣: ١٩٢ ـ ٢٠٨)

العصر التاريخي لأفريقية السوداء لم يبدأ إلا منذ ظهور الإسلام، وأنه بالإسلام ولغته وحضارته تقدم السود وتطوروا وبلغوا شأناً كبيراً في المدنية

وقد أدت الطرق الصوفية دورًا بارزاً في نشر الإسلام في هذه الديار. وقد جذبت الطرق الصوفية إلى الإسلام جموعاً أفريقية، فقد كان الشيخ ومريدوه ينزلون على القبائل ويدعونها إلى الإسلام. وأشهر الطرق الصوفية التي نشرت الإسلام بأفريقية ثلاثة، هي القادرية والتجانية والسنوسية، وقد انتشرت هذه الطرق في الكثير من أقطار أفريقيا الغربية ووسطها. وكانت القادرية والتجانية أوسع نشاطاً في النصف الغربيي من القارة، والسنوسية أوسع نشاطاً في النصف الشرقي. (شلبي، ١٩٨٣ : ٢٠٩ ـ ٢٢٠)

انتشار الإسلام من مراكز داخلية :

تعاونت مراكز الشمال الافريقي، والهجرات العربية، والتجار والدعاة، في إرساء دعائم الإسلام في هذه المنطقة، وفي نشر الإسلام بين السكان الأصليين، ثم جاءت الخطوة الجديدة، وهي قيام نشاط داخلي نابع من المنطقة نفسها، يخدم الأهداف نفسها التي رام إليها الوافدون، فظهرت زعامات إسلامية من بين السكان الأصليين، كما برزت مراكز إسلامية عظيمة في هذا القطاع نفسه، ويمكن القول : إن هذا النشاط الداخلي كان أبعد أثراً في خدمة الإسلام وأكثر نجاحاً، وأصبح الدخول في الإسلام يعني الإسهام في تكوين مجتمع أفريقي سليم، فزمام الدعوة إلى الإسلام حمله العرب، ثم تسلمه منهم البربر ؛ ليندفعوا به جنوب الصحراء، وهناك أسلموه إلى الزنوج، وكل هذه الجماعات تعاونت على نشر عقيدة التوحيد في ربوع القارة الأفريقية. (شلبي، ١٩٨٣، ٣٢٠ ـ ٣٣٦)

ومن أشهر من حمل راية الدعوة إلى الاسلام، واندفع بها نحو جنوب الصحراء، هم المرابطون، وقد فصل ابن خلدون كيف تكونت حركة المرابطين فقال : " إن يحيى بن إبراهيم زعيم قبائل الملثمين خرج للحج في رؤساء من قومه سنة ٤٤٠هـ /١٠٤٨م، فلقي بعد عودته بالقيراوان شيخ المذهب المالكي، أبا عمران الفاسي، فطلب منه أن يرسل معهم فقيهاً يعلمهم ويرشدهم، فاختار لهم عبد الله بن ياسين الجزولي، فرحل معهم يعلمهم القرآن، ويقيم لهم الدين. ثم مات يحيى بن إبراهيم، وافترق قومه،

وتفرقوا عن عبد الله بن ياسين، فتركهم، وسكن مع بعض مريديه، وأشهرهم يحيى بن عمر أحد زعماء البربر في ربوة أسموها " رباطاً "؛ أي : قاعدة يرابطون فيها للجهاد ضد الكفار، ويفرغون فيها للعبادة والتعليم، وكان هذا الرباط في جزيرة يقع عليها الآن ميناء (سان لويس) بجمهورية السنغال. فكثر مريدوه وأصبحوا جيشاً قويا، فسار بهم يحيى بن عمر، وافتتح معظم المراكز التجارية، وبعد أن مات يحيى خلفه اخوه أبو بكر وابن عمه يوسف بن تاشفين، وبهما بدأ ملك المرابطين، وقد قام أبو بكر بمساعدة قبائل الفولاني والسوننكي التي اعتنقت الإسلام، بالهجوم على دولة (غانا) في عام ١٠٧٦م، ودخلت هذه الدولة في حظيرة الإسلام.

ولم يقتصر المرابطون على فتح غانه، بل نشروا الإسلام في جمهورية (صُنِغي) الوثنية، وكانت قد دخلت في الإسلام عام ١٠٠٩ م، بعد أن اعتنق ملكها الإسلام وتابعه قومه في ذلك، وامتد الإسلام بواسطة المرابطين إلى إمارة (البَمْبارا) التي تقع الآن ضمن دولة موريتانيا، وإلى مملكة " مُوَسي " (Mossi) الوثنية الواقعة في منحنى نهر النيجر. (شلبي، ١٩٨٣ : ٢٥٦ - ٢٨٠).

وبعد موت أبي بكر سنة ١٠٨٧ م تمكنت قبائل (الماندِنْجو) من أن تستولي على أكثر المناطق التي كانت تابعة لدولة (غانا)، وأن تقيم على أنقاضها دولة إسلامية جديدة، عرفت بدولة (مالي)، وكان ذلك سنة ١٢٤٠ م. وقد استمرت هذه الدولة بين توسع وانكماش حتى عام ١٤٨٨م، وكانت عاصمتها مدينة (نيامي)، وقد عرف سلاطين هذه الدولة باسم " مَنْسي " ؛ أي الملك الأكبر، وأشهرهم " منسي مُوَسي " الذي حكم بين عامي ١٣٠٧ - ١٣٣٧ م (انظر شكل رقم ١) .

ولما بدأ نجم (مالي) في الأفول في النصف الثاني من القرن الخامس عشر، كان ذلك إيذانا بتألق دولة (صُنِغي)، التي أحرزت نصراً حاسماً على دولة (مالي)، وبدأت خطواتها نحو تكوين دولة قوية عظيمة سنة ١٤٦٤م، واستمرت قرابة قرنين من الزمن حتى عام ١٥٩١ م، وكانت عاصمتها " جاو " (إحدى مدن جمهورية مالي الحالية). وقد سقطت هذه الدولة على يد سلطان مراكش الذي كان يطمع في الحصول على الذهب

والملح الذي كانت تشتهر به هذه المنطقة. ومع الأسف لم يحصل سلطان مراكش على مبتغاه من الذهب، ولم يستطع السيطرة وحفظ الأمن في المناطق التي كانت تخضع لدولة (صُنْغي) ؛ الأمر الذي ساعد على انفصال دولة (صُنْغي) ؛ إلى دويلات صغيرة تقاتل بعضها بعضاً ؛ مما أفضى إلى اضمحلالها. (انظر شكل رقم ٢) .

إلى الشرق من دولة (صُنْغي) وفي مناطق نيجيريا الشمالية الحالية، كان يستوطن شعب الهوسا. والهوسا ليس قبيلة بالمعنى المفهوم من هذه الكلمة، بل شعب لا ينحدر من دم واحد. بل جاء هذا الشعب نتيجة امتزاج ظل يحدث خلال قرون عدة بين جماعات قبلية وجنسية كثيرة، أخذت تتصهر في شكل أقرب مايكون إلى شكل الدولة. وذلك بفضل ما كان لهم من لغة مشتركة، وحضارة مشتركة، إلا أن هذه الجماعات لم تكن تمثل دولة بالمدلول الدقيق لهذه الكلمة بل كونوا إمارات عديدة ومتجاورة، تتحد أحيانا وتتفرق أحيانا، أخرى.

ويعتقد بعض الباحثين أن الهوسا من أصول بربرية، اختلطوا بالزنوج على حافة الصحراء، ثم اندفعوا إلى شمال نيجيريا. وقد حملوا معهم أصول لغتهم، وكانوا يعرفون الزراعة، والآلات الحديدية، كما كانوا يجيدون التجارة ؛ ولهذا احتلوا مكانة عظيمة في البلاد التي رحلوا إليها.

لقد واجهت قبائل (الهوسا) هجرات شعب (الفولاني) الذي يرجح أنه استقر في بلاد (التكرور) على نهر (جامبيا) حوالي القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي). وفي القرن السابع الهجري (١٣ م) أخذت هجراتهم تتجه نحو الشرق، وتتدفق على شمال نيجيريا. وقد اختلط هؤلاء بالهوسا، وتزوجوا منهم، وقد دانوا بالاسلام، وسرعان ما سيطروا على المدن، واكتسبوا حضارة الهوسا، وشاركوا في بناء الدول والأمارات مع شعب الهوسا بحيث يصعب التمييز بينهما.

لقد جاء القرن الرابع عشر واكثر أمارات الهوسا والفولاني ما تزال على الوثنية، ثم بدأ الإسلام يدب فيها شيئاً فشيئاً. وكانت (كانو) وهي من أغنى الأمارات وأوسعها أسبق أمارات الهوسا دخولاً في الإسلام، فقد دخلها الإسلام عام ١٣٠٠ م، وسرعان ما أخذ الإسلام ينتشر في

الأمارات الأخرى، واشترك (الماندِنْجو) و (الفولانيون) وأهل (صنغي) في نشر الإسلام بأمارات (الهوسا) بحيث تحول سكان هذه الأمارات إلى الإسلام. ومن هذه الأمارات أمارة (كبّي) التي برزت أمارة مسلمة من بداية القرن السادس عشر، واستمرت حتى النصف الثاني من القرن التاسع عشر، حتى دهمها الاستعمار البريطاني. ومن هذه الأمارات (كاتْسينا) و (زَنْغرَة)، غير أن أشهرها هي امارة (جُوبر)، التي خلفت (كبّي) و (زنغرة) و (كاتسينا)، واحتلت نفوذاً كاملاً في كل هذه الأمارات، وتعدت سيطرتها مناطق (الهوسا) إلى مناطق (اليوربا). وظهرت في هذه الأمارة في نهاية القرن الثامن عشر حركة إصلاحية دينية بزعامة (عثمان دان فدبو) ترمي إلى بعث الفكر الإسلامي، الذي قام بنشر دعوته في أمارة (جوبر)، وساعده (الفولانيون) و (الهوسا). وقد تصدى ملك (جوبر) لهذه الحركة، غير أن زعيم هذه الحركة أعلن الجهاد، واستطاع أن يكون إمبراطورية واسعة في نيجيريا والسودان الغربي، وخاصة (توغو) و (الكمرون)، وكان ذلك في عام ١٨١٠م. واتخذ الإمام مدينة (سكوتو) عاصمة له، ثم رتب له نواباً على الأقاليم الأخرى. وقد استمرت هذه الدولة حتى الربع الأخير من القرن التاسع عشر، إذ وقعت البلاد جميعها تحت السيطرة البريطانية. (انظر شكل رقم ٢).

وإلى الشرق من إمارات الهوسا تقع أمارة (برنو) وأمارة (كانم)، وهما من المناطق المحيطة ببحيرة تشاد، وأكثر أمارة (برنو) يقع الان في اتحاد نيجيريا، أما (كانم) فجزء من جمهورية تشاد الحالية، وقد انتشر الإسلام في (كانم) عام ١٠٩٠ م، عندما أعلن ملكها دخوله في الإسلام هو وحاشيته، كما حث رعاياه على اعتناق الدين الجديد. وقد وصلت (كانم) إلى أوج نضجها السياسي خلال القرنين الثاني والثالث عشر الميلاديين، فبسطت سلطانها على بعض قبائل السودان الشرقي، ووصل نفوذها الى واحة (فزان)، واتسعت حدودها في كل اتجاه.

وفي القرن الرابع عشر تعرضت الدولة إلى صراعات داخلية بسبب ثورات بعض القبائل التي احتلت العاصمة، الأمر الذي فرض فرار الإسرة الحاكمة إلى منطقة (برنو) ومواصلة حكمهم من هناك. وقد استمر هؤلاء في السلطة حتى نهاية القرن التاسع عشر، حيث خضعت بعض أجزاء

هذه الدولة للاستعمار الفرنسي، وبعضها الآخر للاستعمار الإنجليزي (انظر شكل ٢) .

إلى الجنوب الشرقي من (كانم) تقع أمارة (باجرمي)، وهي الآن ضمن جمهورية تشاد. وسكانها ينتمون إلى أصول متعددة. وقد ظهرت بوصفها دولة في أوائل القرن السادس عشر (١٥١٣م)، ثم بدأ الإسلام يتشر في ربوعها، وفي عهد الملك عبد الله (١٥٦٨ ـ ١٦٠٨هـ) تحولت الأمارة إلى الإسلام، إذ قام هذا الحاكم بإدخال النظم الإسلامية، وبنى مراكز العبادة، وحث على نشر الدعوة الإسلامية. وقد اتسعت حدود الدولة في عهده. واستمر حكم هذه الامارة حتى عام ١٨٧٤ م، حين خضعت للنفوذ الفرنسي. (انظر شكل رقم ٢) .

اما (واداي) فتقع إلى الشمال من (باجرمي)، جنوب جبال (تيبستي)، وهي جزء من جمهورية تشاد الحالية. وقد دخلها الإسلام في فترة متأخرة على يد قبائل (التنجور)، الذين ينحدرون من أصول نوبية، وكان ارتباطهم قوياً مع العرب، فأصبحت لغتهم عربية، وأسماؤهم عربية، واتجهوا من (دنقله) إلى (دارفور)، ثم انتشروا في (واداي)، وقوي أمر هؤلاء في أوائل القرن التاسع عشر، واستولوا على (باجرمي)، ثم ضعف أمرهم، فدفعوا الجزية لدارفور وبرنو، وقد بقيت هذه الدولة حتى عام ١٩٠٩م، إذ خضعت للاستعمار الفرنسي أيضاً (انظر شكل رقم ٢) .

إلى الشرق من (واداي) يقع إقليم (دارفور)، وهو هضبة تتوسطها مرتفعات جبال (مرة) ويقع الإقليم في غربي جمهورية السودان، ويشترك في حدوده مع ليبيا وتشاد، وقد اشتق هذا الاسم من قبائل (الفور) التي سكنته منذ أمد بعيد، وكان زنوج (الداجو) يحكمون هذا الإقليم حتى القرن الرابع عشر. حين قدمت قبائل عربية من تونس، واستوطنت إلى جوار القبائل الزنجية والنوبية، وقد لقي واحد من هذه القبائل العربية المهاجرة واسمه أحمد حفاوة من ملك دارفور الوثني، فزوجه ابنته. ولما لم يكن للملك وريث من الذكور، ورثه ابن ابنته من أحمد، واسمه سليمان، وكان ذلك أول سلالة السلاطين العرب، الذين تولوا الحكم في (دارفور) حوالي عام ١٤٤٥م. ومنذ ذلك التاريخ بدأت الدولة الإسلامية حيث امتزجت القبائل العربية والنوبية والزنجية، وتأثرت باللغة العربية والفكر

الإسلامي، وتوسعت الدولة إلى (كردفان) شرقاً و(بحر الغزال) جنوباً، وبقيت إلى أن استولى الإنجليز على (دارفور) باسم مصر عام ١٨٧٥م، ثم اعترفت الحكومة البريطانية بعلي دينار حفيد سلاطين (دارفور) سلطانا على المنطقة حتى عام ١٩١٦م، إذ سيطرت بريطانيا على (دارفور). وقتلت علي دينار. (شلبي، ١٩٨٣ : ١٤١ - ١٤٢).

مسالك الحج ودروبه :

بعد أن انتشر الإسلام في أقطار غربي ووسط أفريقيا، على النحو الذي بسطناه آنفا، كان من الطبيعي أن يؤدي مسلمو هذه المناطق الركن الخامس من أركان الإسلام، وهو حج بيت الله الحرام، ويمكن أن نقسم المسالك والدروب التي كان يستخدمها الحجاج في الوصول إلى الديار المقدسة، بحسب الترتيب التاريخي قسمين أساسين هما :

- الدروب الشمالية عبر الصحراء الكبرى.
- الدروب عبر منطقة السفانا (انظر شكل ٣).

الدروب والمسالك عبر الصحراء الكبرى (الطريق الشمالي) :

كانت طرق الحج في بداية الأمر عبر الممرات الصحراوية، ومن خلال المسالك والدروب التي انتشر عليها الإسلام. وقد كان الحج في أول أمره مقصورا على الأمراء والأغنياء، ولم يكن هؤلاء ليغامروا بالمرور عبر طرق غير أمينة ؛ لذا كان يسلك هؤلاء الطرق والممرات عبر الصحراء، وصولاً إلى المناطق التي تصلهم بقوافل الحج التقليدية المعروفة في مصر وشمال أفريقيا. وكان معظم القاصدين إلى الحج يتجمعون في (فزان)، ثم يلتحقون بقافلة الحج المغربي، أو يذهبون إلى (القاهرة) للالتحاق بركب الحجاج المصري (شكل رقم ٣).

لقد كانت القاهرة مكاناً يتجمع به حجاج شمال أفريقيا والأندلس، وكذلك حجاج غربي ووسط أفريقيا. فكان حجاج الأندلس يأتون بحراً من الشواطئ المغربية، وبعضهم يسلك طريق البر الموازي للساحل. وكانت الرحلة البحرية تستغرق شهراً من الساحل المغربي إلى الأسكندرية. وحج بهذا الطريق ابن جبير سنة ٥٧٩ هـ، أما الطريق البري من المغرب

الأقصى إلى الأسكندرية، فكان يستغرق مدة أطول. ولقد جاء إلى الحج بهذا الطريق ابن رشيد الأندلسي سنة ٦٩٦هـ، وكذلك ابن بطوطة سنة ٧٢٧هـ (بكر، ١٩٨١ : ٨٣)

كان ركب الحجاج يخرج من المغرب الأقصى إلى الجزائر، ويسير صحبته حجاج الجزائر وحجاج تونس، ويكون التجمع بمدينة القاهرة، قبل خروج المحمل المصري. وكانت القاهرة أيضا مكانا لتجمع حجاج السنغال والتكرور والسودان الغربي والشرقي، ثم يسيرون مع الركب المصري أحياناً، وأحياناً أخرى يسيرون قبله أو بعده بأيام قليله. (بكر، ١٩٨١م: ٨٣).

وكانت الرحلة تسير من القاهرة إلى السويس، وتعبر سيناء إلى العقبة، وتسير حذاء الساحل إلى ميناء (الجار) فالمدينة المنورة ثم مكة المكرمة. وفي إبان الحروب الصليبية وبعد احتلال الصليبيين لبلاد الشام تغير مسار قافلة الحج ؛ فقد أصبح الحج يسير بحراً عبر نهر النيل إلى (قوص)، ثم يعبرون الصحراء الشرقية براً إلى ميناء (عيذاب)، ثم يقطعون البحر الأحمر إلى (جدة)، وذلك خلال الفترة من أعوام بضع وخمسين وأربعمائة إلى أعوام بضع وستين وستمائة من الهجرة (المقريزي: الخطط، ج ١، ص ٢٥٦)، عاد بعدها طريق الحج القديم عبر سيناء.

كانت طرق الحج في بداية الأمر عبر الممرات الصحراوية، ومن خلال المسالك والدروب التي انتشر عليها الإسلام. وقد كان الحج في أول أمره مقصورا على الأمراء والأغنياء

لقد ذكرنا آنفاً أن الحج الى مكة من أقطار غربي ووسط أفريقيا كان مقصوراً على الأمراء والأغنياء. وقد سجل لنا التاريخ وصفاً مفصلاً لحج بعض هؤلاء الأمراء، حيث تروي كتب التاريخ أن أحد ملوك (مالي) (سندينا أو ماري جاطه) قد حج في خلال النصف الأول من القرن الثالث عشر الميلادي (Trimingham 64065) وذلك شكراً لله على استعادته ملك آبائه واجداده، وقام ابنه من بعده والملقب باسم " منسا أولى " وهو من أعظم حكام (مالي)، حكم خلال الفترة من (١٢٥٥ - ١٢٧٠م) بتأدية فريضة الحج. وقد أشار القلقشندي إلى مرور " منسا أولى " في طريقه إلى الحجاز بالقاهرة، أيام السلطان بيبرس، في قافلة كبيرة اجتازت

الدرب الصحراوي المعروف بطريق (غات)، الذي يمتد من مدينة (غات)، وينتهي عند أهرام مصر.

وقد كان لمرور " منسا أولى " في القاهرة صدى كبيراً ؛ لأنه فرق مالاً كثيراً على الناس في ذهابه وعودته، وعقد سلما مع السلطان بيبرس، الذي أكرم وفادته وأحسن استقباله. إلا أن رحلة الحج الشهيرة التي قام بها الملك "منسا موسى " الذي يعرف ايضا باسم "كنكن موسى " الذي حكم من (١٣١٢ ـ ١٣٤٧ م) أصبحت شاهداً حيّاً على مقدار الثراء الذي وصلت إليه مناطق أفريقيا المدارية، ممثلة بدولة (مالي)، التي كانت تمتد من (دارفور) شرقاً إلى (السنغال) غرباً. فقد مر هذا الملك في طريقه إلى الحجاز بالقاهرة في أيام الناصر محمد بن قلاوون في سنين ١٣٢٤ و ١٣٢٥م، وفرق أموالاً عظيمة في مصر وبلاد الحرمين الشريفين، ويقول (Davidson): إن سكان القاهرة ظلوا يتحدثون عن خدم الملك وزوجاته وهداياه وفرسانه، وكل مظاهر العظمة التي تمتع بها ملك يمتد سلطانه ليشمل بلاداً تعادل في مساحتها مساحة غربي أوروبا كلها مجتمعة (شلبي، ١٩٨٣م : ٢٥٠)(*).

وفي عام ١٤٩٧ م قام " أسكيا محمد " بن أبي بكر الطوري ملك

(*) ذكر الدكتور أحمد شلبي وصفاً مفصلاً لرحلة منسا " مُوَسى " فقال : لقد كان موكبه من أروع المواكب التي شهدتها مصر لحاج من الحجاج ، حتى ليبدو وصفه مبالغاً فيه ، وحتى إن أكثر المؤرخين المحدثين حين يتحدثون عن أحداث هذا الموكب يعلقون عليها بأن الخيال والمبالغة أديا دوراً مهمًا في هذا الوصف . ولعل مثار الدهشة أن المؤرخين المحدثين لم يتح لهم أن يروا في حياتهم الواقعية مثل هذا الموكب أو ما يقرب منه ، فقاسوا أحداث الماضي بالحاضر فاستنكروه ، وسنقتبس فيما يلي مقتطفات مما قيل عن هذا الموكب دون تعليق سوى ما قدمناه :

كان هذا الركب يضمٍ عدداً كبيراً يصل السعدي في تقديره إلى ستين ألفاً ، وكانت قاقلة الملك تتألف من ٨٠ جملاً يحمل كل منها ثلاثة قناطير من التبر ، بخلاف الهدايا النفيسة التي أحضرها الملك لتقديمها إلى العظماء والملوك . وأمام موكبه كان يسير ٥٠٠ عبد يحمل كل منهم عصا من ذهب ، وقد قدرت أثمان هذه العصي بملايين الجنيهات ، وكان له وصائف يبلغ عددهن اثني عشر ألفا لابسات أقبية الديباج والحرير اليماني .

وقد ندب السلطان الناصر محمد سلطان مصر أحد المماليك ليكون في صحبة الضيف الكبير وقد روى هذا المملوك ما عرفه من معلومات ، وتلقاها عنه العمري صاحب مسالك الأبصار ، واستقبل السلطان الناصر ضيفه في القصر السلطاني بكثير من الترحيب والتقدير . وقدم إمبراطور (مالي) للسلطان أروع الهدايا ، من بينها حمل جمل من الذهب الخالص ، كما قدم لحاشية السلطان وللأمراء والموظفين هدايا عظيمة كان الذهب في قمتها (شلبي ، ١٩٨٣م : ٢٤٩ - ٢٥٠) .

(صُنّغي) التى ورثت دولة (مالي)، بالحج إلى بيت الله الحرام، واصطحب معه ٥٠٠ فارس وألف جندي، وحمل معه ٣٠٠ر٠٠٠ مثقال من الذهب. وكان من أسباب حجه أن يحصل على اعتراف شرعي من الخليفة العباسي. ويذكر السعدي أنه في الارض المباركة (مصر موطن الخلافة العباسية آنذاك) لقي الخليفة العباسي، وطلب منه أن يجعله خليفة في أرض (صُنّغي)، ففعل وألبسه قلنسوة وعمامة من عنده، فكان خليفة في الإسلام (شلبي، ١٩٨٣م : ٢٦٥ - ٢٦٦) . وأثناء وجوده في مكة استقبله شريفها من أسرة الحسنيين استقبالاً كريماً، ومنحه لقب خليفة أيضاً. (مؤنس، ١٩٨٧م : ٣٧٥)(**).

ومن ملوك (البرنو) و (كانم) الذين أدوا فريضة الحج الملك " إدريس ألوما " الذي حكم في النصف الأخير من القرن السادس عشر (١٥٧١ - ١٦٠٣م) فقد ذهب المذكور إلى الحج، وبنى في مكة المكرمة مقراً لحجاج (البرنو). ويذكر المؤرخون أن وفود حجاج بيت الله من (برنو) و (كانم) كانوا يمرون بمصر في طريقهم إلى الأراضي المقدسة، وكانت قوافلهم تمضي فترات قصيرة أو طويلة بأرض النيل، وتوضح لنا مراجع التاريخ رحلات قام بها سلاطين برنو مارين بمصر وما أنفقوه عن سعة بأرض الحجاز وأرض النيل (شلبي : ١٩٨٣م ص ٢٩٩) .

وحج من ملوك (باجرمي) السلطان " محمد الأمين " الذي يعد عصره هو العصر الذهبي لأمارة (باجرمي)، وقد كان ذلك في نهاية القرن الثامن عشر. ومن المرجح أن حجه كان عبر قافلة الحج التقليدية التي كانت تعبر أفريقيا الغربية باتجاه الشمال إلى مصر ثم إلى الديار الحجازية.

ومنذ مطلع القرن التاسع عشر الميلادي بدأت معظم أقطار غربي ووسط وشمال أفريقيا تسقط تباعاً بيد الاستعمار. وأصبح الأوربيون يهددون المعابر والطرق الموصلة بين غربي ووسط أفريقيا من جهة وبين

(**) يقول شلبي : «يبدو أن أسكيا محمد أراد أن يزيل من أذهان الناس ، ما تركته رحلة منسا " مُوَسى "من خيال وعظمة ، فبالغ في عطاياه وكرمه ، ويذكر السعدي أنه تصدق في الحرمين بمائة ألف مثقال من الذهب ، واشترى بساتين في المدينة المنورة حبسها على أهل تكرور ، واشترى هدايا وسلعاً بمائة ألف». (شلبي ، ١٩٨٣ : ٢٦٦) .

شمالها من جهة أخرى. وكانت النتيجة هي تحول طرق الحج نحو الجنوب باتجاه السفانا.

الدروب والمسالك عبر السفانا :

إن أقدم قوافل الحج عبر السفانا، التي وصلت أخبارها لنا بالتأكيد كانت خلال نهاية القرن السابع عشر حينما وصل مجموعة من (الكانوري) بقيادة الشيخ تيالة (Tylah) إلى (دارفور) من (برنو) في طريقها إلى الحج. إن التقاليد التي ارتبطت بتلك الرحلة تشير بوضوح إلى الخصائص المرتبطة برحلة الحج البري عبر السفانا. فقد تحركت هذه المجموعة من إمارة إلى إمارة أخرى باتجاه الشرق، إذ كانت تطلب السماح بالمرور عبر أراضي الإمارة من جهة، كما تطلب الحماية أثناء وجودها في أراضي تلك الأمارة، من جهة أخرى. وكان هذا يؤدي إلى إعاقة الحركة في بعض الحالات، الأمر الذى دعا مثل هذه التحركات فيما بعد أن تعبر الاراضي مبتعدة عن عيون السلطات المحلية. يضاف إلى ذلك أن حركات الحج خلال القرن الثامن عشر والتاسع عشر كان معظم روادها من الطبقات الفقيرة، الأمر الذي فرض عليها الابتعاد عن المناطق المعمورة، وعن تجمعات السكان، تجنباً لوقوع الاحتكاك معهم ؛ لذا آثرت هذه الرحلات أن تسلك مجموعة من الطرق يقع أغلبها في حزام من أراضي السفانا الجنوبية، مع الابتعاد ما أمكن عن مجتمعات السكان، الذين كانوا ينظرون إليهم نظرة ريبة. وعلى العموم كانت هذه الطرق تخترق مناطق (برنو) و (باجرمي) (واداي) (دارفور)، (كردفان)، (سنار)، شمال أثيوبيا في منطقة (مصوع) إلى ساحل البحر الأحمر. (انظر شكل ٤)

لقد استمر نمط رحلات الحج هذا حتى بعد خضوع السودان للحكم التركي ؛ لأن منطقة (دارفور) بقيت مستقلة حتى عام ١٨٧٤ م، ولما احتلت السلطات العثمانية (دارفور) عام ١٨٧٤م، أصبحت رحلات الحج تسلك طرقاً نحو الجنوب، لأن (الفاشر) والمناطق الشمالية أصبحت في قبضة السلطان العثماني، فقد أخذ الحجاج يرتحلون من (أبَشّي) Abeche باتجاه الجنوب، حيث يمرون عبر (دار سيلا) (Dar sila) إلى (بحر الغزال)، ومنها إلى جنوب (كردفان) فوادي النيل، وفي هذه الأثناء، وكما تشير

الوثائق التي تخص تلك الفترة وجدت قرية (كافيا كانجي) (Kafia Kange) التي أقيمت في (كردفان). كما أن تحركات الحج كانت خلال مجموعات، يصل أعداد بعضها إلى ٢٥٠ شخص، يرتحلون عبر اراضي السفانا الجنوبية (انظر شكل ٤).

وفي أثناء قيام الحركة المهدية في السودان، كان بعض الحجاج الأفارقة يلتحقون بالحركة المهدية ؛ لينالوا بركات المهدي وخلفيته، غير أن الأوضاع غير المستقرة في السودان فرضت طريقاً شمالياً يمر من شمال بحيرة تشاد، عبر (دارفور) مروراً بجبل (ميدوب) (Meidob) إلى (أم درمان)، تجنباً للمناطق المأهولة، التي كان يحاول أفرادها سوق هؤلاء وبيعهم على أنهم رقيق (انظر شكل ٤) .

إن احتلال الإنجليز للسودان وسيادتهم عليه كلياً كانت في نهاية القرن التاسع عشر، ولكنه تأخر في (دارفور) لبعض الوقت. وفي هذه الاثناء زادت حركات الهجرة بقصد الحج، كما زادت حركة السكان الذين تركوا بلادهم من جراء الاحتلال البريطاني لشمال نيجيريا، بحيث أصبح من العسير التمييز بين المهاجرين المطرودين وبين المغادرين بغرض الحج.

وباستقرار الأوضاع في السودان أثناء الحكم الانجليزي، أصبحت الطرق عبر السفانا أكثر استقراراً، حيث أصبح الافارقة يسلكون طرقا عدة منها :

- طريق مباشر من (فورت لامي) (نجامينا حالياً) إلى (آتيه) Atia ثم إلى (أبشي) Abeche إلى غربي حدود (دارفور)، إذ يتوزع هؤلاء عبر ثلاثة طرق، فهناك فئة قليلة تمر من خلال سلطنة (على دينار) في (كردفان) إلى مدينة (الفاشر)، وفئة أخرى تمر شمالاً إلى (الخرطوم)، وفي بعض الاحيان إلى (فزان) و (طرابلس) في ليبيا، حيث يلتقون مع أبناء عمومتهم من الهوسا المقيمين في ليبيا، غير أن غالبية هؤلاء المهاجرين تمر باتجاه الجنوب الشرقي من (أبشي) إلى (دار سيلا) إلى (كافيا كانجي) وهناك بعض الفئات التي تذهب إلى (واو) Wau وآخرون إلى (النهود) و (الأبيض)، غير أن جميع هذه الطرق تلتقي ثانية في منطقة (سنار) (انظر شكل ٢) .

وبعد عام ١٩١٦م حينما امتد النفوذ البريطاني إلى (دارفور)، اضمحلت طريق كافيا كانجي، وبدأ الحجاج يسلكون طريق (الجنينه) مارين عبر العديد من الطرق جنوب (جبل مره) إلى (الأبُيّض). وحتى عام ١٩٢٠م كان هناك بعض الرحلات التي تمر عبر (كافيا كانجي) إلا أن تقسيم الإنجليز للسودان إلى شمالي وجنوبي، قضى نهائياً على طريق (كافيا كانجي) لدرجة أن البلدة نفسها اضمحلت نهائياً (انظر شكل ٤) .

لقد ساعد انتشار عربات اللوري التي ازدهرت بعد الحرب العالمية الثانية، على استعمال الطريق الذي يعبر (دارفور) إلى (الجنينه) ثم (الفاشر) ثم إلى (الأبيض) حيث يستقلون القطار. وقد زادت اعداد الوافدين عن هذا الطريق بزيادة الخدمات المقدمة لهم، بحيث يمكن القول : إن هذه الفترة التي امتدت حتى نهاية الخمسينيات كانت قمة ازدهار في حركة الحجيج من غربي أفريقيا (انظر شكل ٤).

إن حصول العديد من أقطار السفانا على استقلالها، ساعد على بروز مشكلات عبور الحدود السياسية , وقد تزامن ذلك مع ظهور الرحلات الجوية، واستعمال الطائرات في حركة الحجيج. وقد وضع كل ذلك نهاية لهذه الطرق التقليدية في الوصول إلى الديار المقدسة، إلا أن تمديد سكة الحديد حتي (نيالا) Nyala عام ١٩٥٨م ساعد على بروز طريق جديدة من (الجنينة) إلى (زالنجي) Zalingei ثم إلى (نيالا)، الأمر الذي قلل من أهمية (الفاشر) بصفتها مركزًا رئيسًا لحركة الحجيج من غربي أفريقيا (انظر شكل ٥).

إن مشكلات عبور الحدود السياسية بالرغم من تزايد أهميتها إلا أن تأثيرها محدود على حركة القدوم، لأن كثيراً من هؤلاء يسلكون طرقاً غير معابر الحدود الرسمية، تفادياً لدفع رسوم العبور، وتجنباً لاعتراضات السلطات المحلية في الأراضي التي يمرون فيها (Birks , 1975 : 301 - 308).

طبيعة رحلة الحج ومراحلها

إن الرحلة البرية إلى الديار المقدسة تستغرق بضع سنوات، والقليل من هؤلاء هم الذي يمضون ثلاث سنوات فقط في هذه الرحلة. وقد تحتاج بعض الرحلات إلى مايزيد عن (٢٠) عاماً، وأحياناً (٣٠) عاماً لبلوغ هذا

الهدف، ومتوسط الرحلة في الغالب هو (٨) سنوات، يقضي الفرد فيها حوالي خمس سنوات في رحلة الذهاب، و٣ - ٤ سنوات في العودة، حيث يعمل خلالها وغالباً في السودان ؛ ليحصل على المال اللازم قبل عبوره البحر الأحمر إلى الديار المقدسة، ثم بعد عودته من مكة لتأمين رحلة العودة إلى غربي أفريقيا (Birks , 1977 : 47) .

من الجدير بالذكر أن غالبية هؤلاء المهاجرين إلى الحج هم من أصل ريفي، والغالبية العظمى منهم تمتهن الزراعة، غير أن هناك بعض البدو الرحل، ويسافر بعض هؤلاء من خلال عربات الشحن (اللوري) التي تنقلهم بعض الوقت. ويستخدم بعضهم الآخر القطارات المتوفرة في بعض أجزاء هذا الطريق، بعضهم الآخر يسيرون على الأقدام، يسوقون معهم بعض قطعانهم، يعيشون على ما تدره عليهم هذه القطعان، إلى أن يصلوا إلى المرحلة النهائية من الرحلة، وهي عبور البحر الأحمر وصولاً إلى الديار المقدسة، عندها يبيع هؤلاء ما بقي لديهم من ماشية، ليستخدموا عائداتها في دفع نفقات ماتبقى من الرحلة (.Birks, 1977 : 48)

إن الارتباط الوثيق بين عناصر (الفولاني) في شرقي نيجيريا وأخوانهم في السودان، يعني أن هناك تبادلاً للمعلومات حول الرعي، وموارد المياه، ومناطق الأوبئة، وموقف القبائل التي يتحتم المرور من أراضيها. وهذه المعلومات ضرورية جداً لسلامة القطيع. ومن الجدير بالذكر أن مختلف الطرق الفرعية التي يمر بها هؤلاء تكون عبر أراضي تقطنها قبائل (الفولاني)، الأمر الذي يسهل على هؤلاء رعي مواشيهم وبيع منتجاتهم وحتى ممارسة الزراعة لبعض الوقت، من أجل تكوين رأسمال يساعد على بلوغ الهدف النهائي.

هذه الرحلة تشمل أشخاصاً من صغار السن من سبع سنوات إلى عمر ٥٠ عاماً من الذكور والإناث على حد سواء، وقد تشمل أسرة منفردة، أو اسرة ممتدة تحوي الابناء والأخوة والآباء والزوجات وأبناء العمومة والأقرباء. ويسوق هؤلاء ما يملكون من ماشية يصل عددها أحياناً إلى ٢٠٠ رأس من البقر لكل فريق بمتوسط يتراوح ما بين ٢ ـ ٤ رأس لكل فرد، وهذه الأبقار هي التي تمول الرحلة إلى الديار المقدسة، إذ يكفي الحاج أن يبيع ٤ ـ ٥ رؤوس من هذه الماشية ؛ لتؤمن له أجور الذهاب والعودة من

السودان إلى مكة المكرمة والعودة منها. ومن لا يمتلك الثروة الحيوانية عليه أن يعمل في الزراعة وخاصة في مشروع الجزيرة في السودان ؛ ليؤمن الدخل اللازم لرحلة العمر. وربما يمضي الفرد سنوات عديدة في العمل أو في تربية الماشية لتأمين الدخل اللازم (Birks, 1977 : 48) .

إن هذه الرحلة الطويلة ساعدت على بروز مؤسسة خاصة تساعد في نقل هؤلاء عبر المسافات الشاسعة التي يقطعونها، تلك المؤسسة التي تعرف باسم (الزنقو)، وهي عبارة عن أماكن معدة لنزول المسافرين، ويدفع هؤلاء احياناً ايجاراً رمزياً لها، وفي بعض الأحيان تكون الإقامة مجانية، وذلك امر يقرره مسئول (الزنقو). وفي الأصل أنشئ (الزنقو) مكان استراحة للمسافرين. وفي السودان هو عبارة عن مجموعة من المساكن المنعزلة والمؤلفة من القش (عشش) والتي تخصص لنزول هؤلاء الحجاج فيها بعض الوقت. وفي تشاد يتألف (الزنقو) من مبنى كبير له جدران عالية من الخارج، ووسط هذا المبنى مساحة كبيرة، تحيط بها مجموعة من المهاجع والغرف من جميع الجهات، ملتصقة بجدران السور من الداخل.

يشكل (الزنقو) مكاناً مهماً لهذه القبائل المسافرة، فهو بالإضافة إلى كونه مأوى يلجؤون إليه، فهو يبعدهم عن الاحتكاك بالسكان المحليين، الذين لا يتعاطفون معهم من جهة، ومن جهة أخرى يتعرفون من خلاله على متطلبات المرحلة القادمة من الرحلة، فالمسؤولون عن (الزنقو) هم دائماً على اتصال مع بعضهم البعض، لتأمين كافة السبل لتأمين سير هؤلاء من منطقة إلى أخرى وأعداد جميع المستلزمات التي تقتضيها الرحلة. وإذا دخل الحاج إلى (الزنقو)، فهو يستريح من عناء التفكير في مشكلات السفر ومتطلباته، فهو يتلقى المعلومات ويسافر من غربي أفريقيا إلى السودان عبر هذه المؤسسة، التي لولاها لما استطاع هؤلاء أن يقوموا بهذه الرحلة الطويلة ؛ نظراً لعدم وجود وثائق سفر لديهم، ولجهلهم بلغة البلاد التي يمرون بها، بالإضافة إلى عدم معرفتهم بالمسالك والدروب التي يجب عليهم السفر خلالها (Birks , 1975 , 300).

إن مدة بقاء هؤلاء الحجاج في (الزنقو) مرتبط بالعديد من العوامل

لعل من أهمها مايلي :

١- عدد القادمين والقادرين على العمل.

٢- فرص العمل الموجودة في المنطقة المجاورة.

٣- طبيعة المرحلة القادمة من الرحلة.

٤- توفر وسائل المواصلات للمرحلة القادمة.

٥- الحالة الصحية للمجموعة المسافرة.

٦- مقدار ما يحصل عليه هؤلاء من صدقات في هذا المعسكر.

٧- موقف السلطات المحلية من بقاء هؤلاء لفترة أطول.

٨- وأخيراً مقدار الرغبة في الوصول السريع إلى الديار المقدسة.

يقوم الحجاج بالإضافة إلى العمل في الزراعة بامتهان العديد من المهن، التي يعدها السودانيون مهنا وضيعة مثل الحلاقة وتقليم الأظافر وأعمال الحمل والدباغة، وهذا يعني أن كل فرد من أفراد الأسرة له دور في تحصيل الأموال المطلوبة واللازمة للرحلة ؛ ولهذا فليست الأسرة عبئاً مالياً على عاتق الزوج وحده، بل يشارك الجميع في اكتساب المال اللازم لأغراض هذه الرحلة (Birk , 1975 , 300).

وبعد أن يتوفر الدخل اللازم، فمن أراد فعلاً الذهاب إلى الديار المقدسة، فعليه التوجه إلى (الخرطوم) ؛ ليحصل على وثائق وجوازات سفر من قنصليات دول غربي أفريقيا ووسطها، وبعدها يسافر في القطار إلى (سواكن) أو (بورسودان)، ثم يأخذ الباخرة إلى الديار المقدسة، يعود بعدها إلى السودان، ثم إلى غربي أفريقيا. وقد ينتهي به الحال إلى السكنى في مكة أو في السودان ولا يرجع إلا زائراً بعد سنين عديدة (Birks , 1977, 55 56).

الاستقرار في السودان:

إن معظم المغادرين إلى رحلة الحج يصطحبون معهم عائلاتهم، الأمر الذي يسهل عليهم البقاء في أي مكان، تتوافر لهم فيه شروط البقاء والإقامة، ونتيجة لذلك نجد أن جزءاً كبيراً من هؤلاء يستقر في السودان،

مفضلاً عدم العودة إلى غربي أفريقيا. وينتشر هؤلاء في السودان على مناطق السفانا المماثلة لمناطقهم الأصلية في بلد المنشأ، وهناك أعداد قليلة هي التي تستوطن النطاق الصحراوي في الشمال أو المناطق الجنوبية الماطرة. ومما يساعد على استقرار هؤلاء في منطقة السفانا السودانية، وجود مناطق الانتاج الزراعي. وخاصة مناطق زراعة القطن في (مشروع الجزيرة)، أو مناطقِ زراعة الحبوب في (القضارف) حيث يعمل هؤلاء عمالاً موسميين، أو عمالاً دائمين في هذه المشاريع الزراعية، وبعض هؤلاء استقر على ضفاف النيل شرقاً وغرباً في جنوب (سنار)، وكونوا مستوطنات دائمة في تلك المناطق، وهناك نسبة أقل من هؤلاء تستوطن غربي السودان ؛ لأن الفرص الاقتصادية فيه أقل من الشرق، غير أن هؤلاء قد ازدادت أعدادهم بعد وصول السكة الحديدية إلى (نيالا)، وكذلك زيادة فرص الزراعة والتوسع الزراعي في الغربي الأمر الذي ساعد على وجود فرص عمل جديدة لهؤلاء الوافدين (Birks , 1975 : 298 - 299).

ويطلق على هؤلاء في المصطلح المكي اسم «تكارنة». ولعل هذا الاسم له صله بمصطلح «تكرور» الذي أطلقه الجغرافيون والمؤرخون العرب على المنطقة الممتدة بين السنغال وبحيرة تشاد، حيث عرفت تلك المناطق باسم بلاد التكرور.

الاستقرار في مكة المكرمة :

لقد استقر في مكة المكرمة، وعلى مدى الأجيال السابقة، أعداد كبيرة من سكان القارة الأفريقية، ومن جملة هؤلاء أعداد لا بأس بها قدمت من المناطق المدارية، التي نحن بصدد دراستها، ويطلق على هؤلاء في المصطلح المكي اسم " تكارنة ". ولعل هذا الاسم له صله بمصطلح " تكرور " الذي أطلقه الجغرافيون والمؤرخون العرب على المنطقة الممتدة بين السنغال وبحيرة تشاد، حيث عرفت تلك المناطق باسم بلاد التكرور.

إن صلات التكارنة في مكة المكرمة، ترتبط بأمور ثلاثة، كان لها أثر بارز في استيطان العديد من هؤلاء في البلد الأمين، وهذه الأمور:

١ ـ الظروف التي لابست تجارة الرقيق قديماً، فقد كان في مكة سوق للرقيق

يفد إليه، ويباع فيه الأرقاء من مختلف الجنسيات.

٢ ـ الحروب التي وقعت بين سكان هذه المناطق والمستعمرين الإنجليز والفرنسيين، الأمر الذي نجم عنه هجرة العديد من هؤلاء إلى مكة المكرمة.

٣ ـ رحلات الحج إلى الديار المقدسة، التي أسهمت بالقسم الأكبر من هؤلاء الوافدين، فرحلات الحج كانت أبعد أثراً في استيطان العديد من هؤلاء في الديار المقدسة.

وقد كان هناك دوافع عديدة لهذا الاستيطان من أهمها :

١ ـ الانقطاع للعبادة والزهد والعيش بجوار بيت الله الحرام.

٢ ـ طلب العلم والتفقه في العلوم الشرعية والمعرفة والاستفادة من حلقات العلم التي كانت تعقد في الحرم المكي الشريف.

٣ ـ التجارة والكسب في بلد أسواقه التجارية مفتوحة للجميع.

لقد كان الدافع الأول والثاني هما رائدا الهجرة في السابق، إذ لم يكن في مكة سابقاً من أسباب الرخاء وسعة العيش والثروة الكبيرة، التي يمكن إحرازها بسهولة، فقد قدم الكثير من هؤلاء بدينهم والقليل بدنياهم.

ومنذ النصف الثاني من القرن العشرين، أصبح العامل الاقتصادي هو المؤثر الأول في الهجرة إلى مكة المكرمة، فقد أصبح معظم هؤلاء يأتون للأغراض الدنيوية والاقتصادية، وقد ساعد وجود المستوطنين الأوائل، بالإضافة إلى وجود الطيران، على قدوم الأعداد الجديدة، وقسم كبير من هؤلاء يفدون إلى المملكة بقصد أداء العمرة، ثم يتخلفون للعمل والاستقرار.

يستوطن هؤلاء حيين من أكبر أحياء مكة المكرمة، وهما (التنضباوي) و(الهنداوية). وقد تبين من الدراسة الميدانية أن معظم أسماء هؤلاء تعود إلى مجموعات قبلية مثل (الهوسا) و (الفولاني) الذين يعرفون (بالفلاته) و (البرنو) و (البرقو) و (الكمبيجي) وغيرهم (السرياني، ١٤٠٤هـ: ٥٢)

مستقبل الحج البري من اقطار السفانا الأفريقية :

في أواخر القرن التاسع عشر واوئل القرن العشرين وإثر احتلال معظم

أقطار أفريقيا من قبل المستعمر وخاصة اقطار وسط وغربي أفريقيا، حدثت حركات سكانية كبيرة. فقد طرد عدد من هؤلاء السكان باتجاه الشرق، وهناك العديد من الأسباب التي كانت تقف وراء إجلاء هؤلاء ونزوحهم، أهمها معارضتهم لاحتلال بلادهم من قبل السلطات الأوربية، والقضاء على ممالكهم القديمة، التي كانت لهم فيها دول ذات سيادة، بالإضافة إلى المجاعات التي كانت تلحق بهؤلاء نتيجة الجدب من جهة، ونتيجة التهجير من جهة أخرى.

لقد شكلت هذه الأسباب دوافع قوية لحفز السكان إلى الوصول إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج ؛ لذلك نرى أنه بالرغم من تدخل سلطات الاستعمار لتقليل حركة الحج، في مطلع القرن العشرين كان هناك ما يزيد عن (١٠) آلاف نسمة يرحلون سنوياً لأداء فريضة الحج بين عامي (١٩٠٥ - ١٩٠٩م) (Birks, 1977, 216). ومن المرجح أن العدد السابق كان يتراوح بين ١٥ ـ ٢٠ ألف حاج سنوياً.

لم يقتصر تأثير الاستعمار على تقليل عدد الحجاج، بل تعداه إلى تغيير اتجاه رحلة الحج، فبعد وقوع أقطار شمال أفريقيا (المغربي، الجزائر، تونس، ليبيا) تحت قبضة المستعمر أجبر سكان منطقة غربي ووسط أفريقيا على تغيير اتجاه رحلة الحج، بحيث أصبح هؤلاء يتجهون شرقاً بدلاً من الشمال، إلى أن يصلوا إلى وادي النيل في السودان، مروراً بالاقطار التي أطلق عليها فيما بعد اسم نيجيريا والنيجر وتشاد والكاميرون والسودان.

لقد ساعد تقدم وسائل المواصلات الجوية على زيادة أعداد الحجيج القادمين من هذه الديار، واستناداً إلى إحصاءات الحجاج التي تنشرها المملكة العربية السعودية هناك عدد يتروح بين ٧٥ - ١٥٠ ألف حاج يفدون إلى مكة المكرمة من هذه الديار، من أصل مليونين من المسلمين الذين يؤدون فريضة الحج كل عام. (النشرة السنوية لأعداد الحجاج)

من هذا العدد هناك ما يقرب ٥ - ٧ آلاف نسمة، يعبرون مناطق السفانا سنوياً؛ ليقطعوا البحر الأحمر إلى الديار المقدسة في رحلة برية شاقة وخطيرة ومضنية يزيد طولها عن ٣٢٠٠ كم (٢٠٠٠ميل). ففي عام ١٩٧٢ م قدر (Birks) عدد القادمين إلى الحج بـ ٥٠٠٠ نسمة. ويرى

(Birks) أن أربعة أخماس هؤلاء يأتون من المناطق المعروفة باسم أراضي (الهوسا) و (البرنو) في نيجيريا والنيجر، وخاصة الأراضي المحيطة ببحيرة تشاد، أما الباقي فيأتون من بقية أقطار أفريقيا الواقعة ضمن نطاق السفانا المدارية، وقد وجد (Briks) من العينة التي أجراها على ٦٥٠ شخصاً، ينوون أداء فريضة الحج، قام بمقابلتهم في منطقة (دارفور) بغربي السودان، أن معظم الحجاج ينتمون إلى قبائل (الهوسا) حيث يشكل هؤلاء ٥٥٪ من إجمالي القادمين إلى الحج، وهؤلاء في الغالب من سكان الأمارات الإسلامية التقليدية في غربي أفريقيا وخاصة من (كانو) و (سكوتو). وهناك ٢٠٪ من قبائل (الفولاني) التي تنتمي إلى الأصول الهوساوية. وهناك ١٠٪ ينتمون إلى قبائل (الكانوري) التي تستوطن العديد من أقطار غربي أفريقيا، أما الباقي فيمثلون معظم أقطار السفانا المدارية (Birks , 1973 : 297 - 298).

إن السودان وهو المحطة قبل الاخيرة في حركة الحج البرية، يتعرض للعديد من المشكلات المرتبطة بهذه الرحلة، فهؤلاء الوافدون ينقلون معهم بعض الأمراض الخطيرة وخاصة مرض الكوليرا ومرض الحمى الراجعة، ناهيك أن كثيراً من هؤلاء يستوطنون نهائياً في الأراضي السودانية. لذا يرى السودان أن حركة الحج البرية غير قانونية في الوقت الحاضر الذي تستخدم فيه الرحلات الجوية. وقد حدا ذلك بهؤلاء أن يسافروا خلال بعض المناطق بطريقة سرية لتجنب معابر الحدود، والابتعاد عن السلطات الصحية، التي كثيراً ما تجبر هؤلاء على العودة إلى أقطار غربي أفريقيا.

إن المتأمل في طبيعة هذه الرحلة البرية يتبادر إلى ذهنه أن تناقص أعداد الوافدين، والعوائق التي تعترض طريقهم سيجعل من هذا النمط ظاهرة في طريقها إلى التناقص ثم الزوال، الأمر الذي سيجعلها مجرد أثر تذكاري من حوادث التاريخ الأفريقي. إلا أن الدراسات الميدانية تشير إلى أنه بالرغم من العوائق الكثيرة، فما زالت هذه الرحلة قائمة، ويتوقع لها مزيداً من النمو والازدهار في المستقبل القريب.

فهناك عدد من الممرات الجديدة التي تستحدث بعيدة عن رقابة السلطات المحلية، وهناك مراكز استيطانية تنشأ لإيواء هؤلاء المسافرين،

يديرها مجموعة من الوسطاء الذين يحصلون على ربح وفير من خلال تهريب هؤلاء سراً عبر الحدود الدولية لمختلف أقطار غربي أفريقيا، ولعل أحد الأسباب التي تؤدي إلى نشاط هذه الرحلة وزيادة احجامها هو ارتفاع اسعار الرحلات الجوية وعدم مقدرة الحاج الأفريقي جمع تكاليف الرحلة دفعة واحدة، الأمر الذي يلجؤه إلى السفر براً، حيث يتحصل على نفقات السفر وتكاليفه، أثناء سيره من منطقة إلى أخرى. ولذا فهو ليس بحاجة إلى رصيد مالي كبير لأداء هذه المهمة، لا سيما أن سنوات الجفاف المتتالية لا تساعد هؤلاء على الادخار ؛ لذا يلجأون إلى البديل الثاني وهو السفر براً دونما حاجة إلى الانتظار إلى المواسم الزراعية القادمة، التي ربما تكون أكثر سوءاً. يضاف إلى ذلك أن كثيراً من الأراضي التي يزرعها هؤلاء قد أصبحت منهكة وغير منتجة، الأمر الذي يقوي رغبة الهجرة منها إلى مناطق أخرى.

وهناك أسباب أخرى أقل أهمية إلا أن لها دوراً بارزاً في حركة الحج، إذ يعتقد بعضهم أن رحلات الطيران السريعة جعلت الحج أمراً سهلاً وميسوراً، وهذا أمر يتنافى مع طبيعة الحج المعهودة لدى هؤلاء، والتي يكتنفها الصعوبات الكبيرة ؛ لذا يفضل بعض الحجاج الأثرياء السفر براً، على السفر جواً، لزيادة الأجر والثواب، نتيجة تحمل المزيد من الجهد والتعب.

وبجانب ذلك هناك فوائد أخرى يجنيها الحاج من رحلته البرية، إذ يتسنى له معرفة اللغة العربية بصورة أفضل، كما أن الحج البري يمكن أن يضم جميع أفراد الأسرة، وهو أمر غير ممكن من خلال رحلات الجو، التي تستلزم نفقات كبيرة، يضاف إلى ذلك زيارة الأقارب والمعارف المستوطنين على طول خط سير الرحلة.

وهناك الرغبة في بعض الاحيان في الاستقرار في الاماكن التي يمكن أن يجد فيها الحاج منافع اقتصادية تجعله في وضع أحسن من وضعه في بلده حيث يستقر نهائياً، وربما لا يصل إلى الديار المقدسة. وإذا وصل ربما لا يعود إلى دياره مطلقاً (Birks , 1977: 215 - 217).

مسارات الخرائط

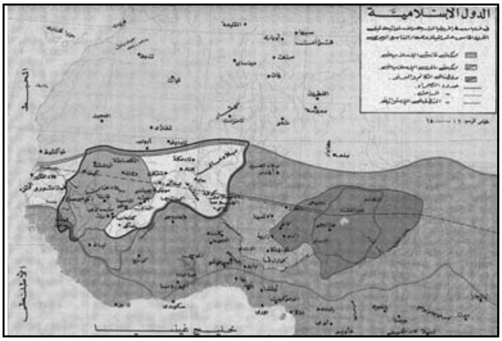
الدول الإسلامية
خليج غينيا

شكل (١)

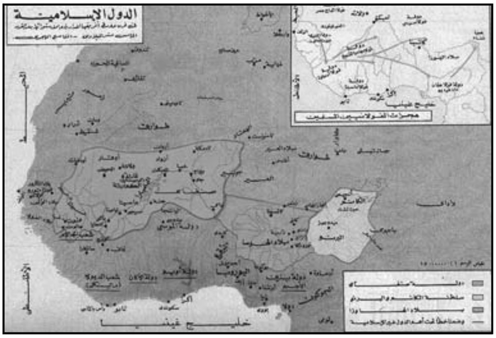
الدول الإسلامية
خليج غينيا

شكل (٢)

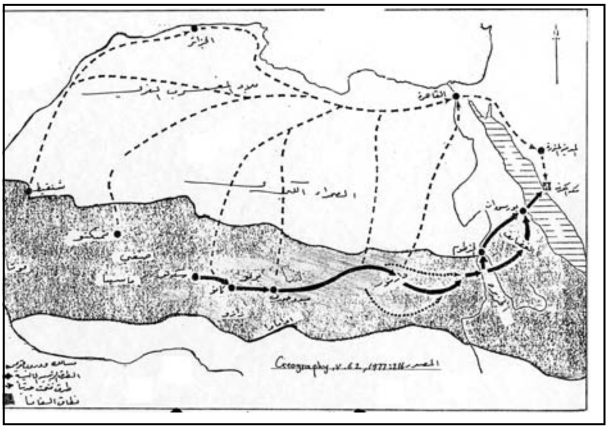
الجزائر
القاهرة
الخرطوم
الصحراء الكبرى
تمبكتو
المصدر: Geography, v. 62, 1977: 216

شكل (٣)

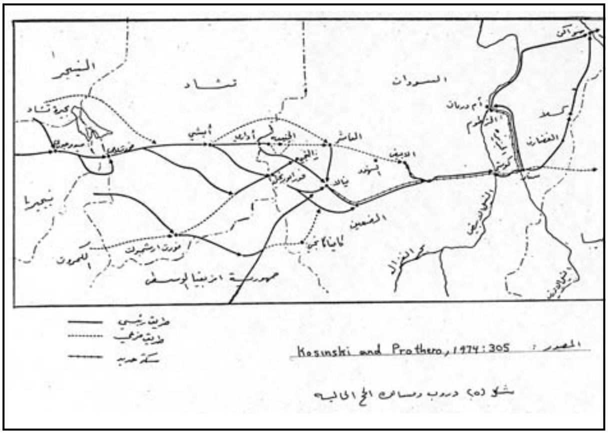
النيجر
تشاد
السودان
بحيرة تشاد
أبشي
الفاشر
الأبيض
الخرطوم
أم درمان
نيجيريا
الكميرون
جمهورية افريقيا الوسطى
طريق رئيسي
طريق فرعي
سكة حديد
المصدر: Kosinski and Prothero, 1974:305
شكل (٥) دروب ومسالك الحج الحالية

شكل (٥)

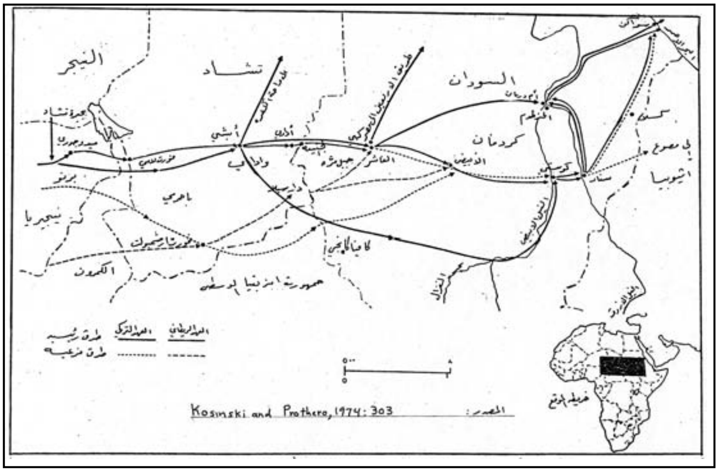
النيجر
تشاد
السودان
بحيرة تشاد
أبشي
الفاشر
الأبيض
كردفان
الخرطوم
أم درمان
نيجيريا
الكميرون
جمهورية افريقيا الوسطى
أثيوبيا
طرق رئيسية
طرق فرعية
العهد البريطاني
العهد التركي
خريطة الموقع
المصدر: Kosinski and Prothero, 1974:303

شكل (٤)

المراجـــــع

١. المراجع العربية :

- بكر، سيد عبد المجيد : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج، دار تهامة للنشر، جدة، ١٩٨١م.

- بكر، سيد عبد المجيد : الأقليات المسلمة في أفريقيا، مجلة دعوة الحق، إصدارات رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة العدد (٤٢) السنة الرابعة، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

- حسن، حسن إبراهيم : انتشار الإسلام والعربية فيما يلي الصحراء الكبرى وشرق أفريقيا وغربيها، القاهرة، ١٩٥٧م.

- حسن، حسن إبراهيم : انتشار الإسلام في القارة الافريقية، ط٢، القاهرة، ١٩٦٤م.

- حسن، حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، منشورات دار الجيل في بيروت ومكتبة النهضة العربية بالقاهرة ١٤١١هـ / ١٩٩١م.

- زكي، عبد الرحمن : تاريخ انتشار الإسلام في غرب أفريقيا، ١٩٧٦م.

- السرياني، محمد محمود، مورفولوجية مكة المكرمة الاجتماعية، مجلة منظمة العواصم والمدن الإسلامية عدد (٢) السنة (٣) ١٤٠٤هـ ص ص ٤٣ - ٦٦.

- السرياني، محمد محمود : الوجيز في جغرافية العالم الإسلامي – دراسة لملامح الاقطار الإسلامية ومشاكل الأقليات المسلمة في العالم، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٧هـ.

- السرياني، محمد محمود : الجغرافيا الحضارية لدول العالم الإسلامي، بحث في موسوعة العالم الاسلامي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (تحت النشر).

- شلبي، أحمد : موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية الجزء (٦) الإسلام والدول الإسلامية جنوب صحراء أفريقيا منذ دخلها الاسلام حتى الآن، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الرابعة، ١٩٨٣م.

ـ طرخان، إبراهيم علي : إمبراطورية الفولانيين الإسلامية، مجلة كلية الآداب جامعة الملك سعود مج ٦ (١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩م) ص ص ٩٥ ـ ١٥٦.

ـ طرخان، إبراهيم علي : دراسات في تاريخ أفريقيا الإسلامية قبل عصر الاستعمار " إمبراطورية صُنْغي "، مجلة كلية الآداب، جامعة الملك سعود مج ٨ (١٤٠١هـ / ١٩٨٤ م) ص ص ٣ – ١١٧.

ـ غلاب، محمد السيد وصالح، حسن عبد القادر، وشاكر، محمود: البلدان الإسلامية والأقليات المسلمة في العالم المعاصر، المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٣٩٩هـ / ١٩٨٤م.

ـ الفوتي، ألفا هاشم محمد بن أحمد : كتاب تعريف العشائر والخلان بشعوب وقبائل الفلان، المطبعة الماجدية، مكة المكرمة، ١٣٥٤ هـ.

ـ قداح، نعيم : أفريقيا الغربية في ظل الإسلام، كونكري، ١٩٦٠م.

ـ كامل، عبد العزيز، جغرافية الإسلام في أفريقيا، محاضرات معهد الدراسات الإسلامية، القاهرة ١٩٦٧ / ١٩٦٨هـ.

ـ كامل، عبد العزيز، وجهة الإسلام في القارة الافريقية، السياسة الدولية، س٢ ع١، ١٩٦٦، ص ٩٤ – ١١١.

ـ مؤنس، حسين : أطلس تاريخ الإسلام، دار الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ١٤٠٧هـ /١٩٨٧م.

٢ـ المراجع الأجنبية :

1 - Al- Nagar, O. The Influence of the Haj on West Arrica, Unpublished Ph .D Thesis, University of London, 1968.

2 - Birks, S.J. Overland Pilgrimage in the Savanna Lands of Africa in Kosinskl, L . A., and Prothero (eds) People on the Move, Studies on Internal Migration , Methuen and Co.Ltd, London, 1975 pp 298 -307 .

3 - Birks, S.J. Overland Pilgrimage from West Africa to Mecca : Anachronism or Fashion? Geography, V.62, 1977 pp 215 - 217.

4 - Birks, S.J. The Mecca Pilgrimage by West African Pastoral Nomads, the Journal of Modern African Studies, V.15, 1977 pp 47 - 58 .

5 - Birks, S.J. Across the Savannas to Mecca, the Overland Pilgrimage Route From West Africa, C. Hurst and Company, London, 1978.

6 - Bovill E.w., Caravans of the Old Sahara : an Introduction to the history of the Western Sudan , Oxford Univ. Press, London, 1933.

7 - Davies, H.R., The West African in the Economic Geography of Sudan, Geography , 49 (3) 1964. Pp222 - 235 .

8 - Dunbar, G.s. West African Pilgrims to Mecca Geogrphical Reviwe V.67, 1977 pp 483 - 484 .

9 - Ekwensi , C., Burning Grass : A story of the Fulani of Northern Nigeria , Humanities Press , New York, 1962.

10 - Humwick, J.O., Songhay , Bornu and Hausa land in the 16th Century in History of West Africa edited by F.A. Ajayi and M. Crowder Vol 1 , New York, Columbia Univ. Prss, 1971.

11- Hogben, S.J , and Kirk-Greene, A.H., The Emirates of Northern Nigeria : A Preliminary Survey of Historical Traditions , Oxford University Press , London, 1966.

12 - Isaac , E., Pilgrimage to Mecca , the Geographical Review, V., 63, 1973 pp 405 - 409 .

13 - King ,R., The Pilgrimage to Mecca : Some Geographical and Historical Aspects, Erdkunde, V.26, 1972 pp. 61 - 73 .

14 - Prothero, R.M., Nomads, Pilgrims and commuters, Geographical Magazine , V.43 (4) , 1971 pp 271 - 278 .

15 - Skinner , E.P., Islam and Mossi Society, in Islam in Tropical Africa, Edited by Laon M. Lewis , London , International African Institute, 1966.

16- Trimingham , S.J., The Influence of Islam Upon Africa, New York, Praeger, 1968.

17 - Trimingham , S.J., Islam in West Africa, Oxford Univ. Press, London, 1959.

18 - University of London , Papers From the international conference of Manding Studies, University of London , School of Oriental and African Studies 1972.

19 - Weeks , R.V., Muslim Peoples : A world Ethnographic Survey, Greenwood Press, London, 1978.

20 - Wirks , P.A., Pilgrimage in A strange Land, Hausa Communities in Chad, Columbia Univ. Prss, New York , 1976 .

21 - Yamba Bawa, C., Permanent Pilgrims, The Role of Pilgrimage in the Lives of West African Muslims in Sudan, Edinburgh Univ. Prss, Edinburgh, 1995.